

مركز الملك عبد العزيز للحق ومبا الوطني

سلسلة
رسائل في
الحوار

جمادى الآخرة ١٤٣١هـ

صلى الله
عليه
وسلم

د. مها خضر

الرياض

٢٠١٠م / ١٤٣١هـ

ح مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

حوار الرسول ﷺ بلاغة وبلوغ

مها خضر، الرياض، ط ١، ١٤٣١هـ

٤٨ ص: ١٧ × ٢١ سم.

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-١٢٧٠٩-٥-٧

١ - السيرة النبوية ٢ - رسائل الحوار

ديوي: ٢٣٩ ١٤٣١/٣٣٢

الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ

رقم الإيداع: ١٤٣١/٣٣٢

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-١٢٧٠٩-٥-٧

جميع حقوق الطبع محفوظة

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

الرياض، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

ص.ب. ٨٩٨٦٦، الرياض ١١٦٩٢

البريد الإلكتروني: rs@kacnd.org

www.kacnd.org



معالي الأستاذ: فيصل بن عبدالرحمن بن معمر

الدكتور: فهد بن سلطان السلطان



أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي رئيساً

أ. د. عبدالله بن حسين الخليفة	عضواً	د. فاطمة بنت محمد القرني	عضواً
أ. د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان	عضواً	د. نوال بنت عبدالعزيز العيد	عضواً
د. خالد بن عبدالكريم البكر	عضواً	أ. فاطمة بنت فيصل العتيبي	عضواً
د. محمد بن عبدالله الشويعر	عضواً	أ. وفاء بنت حمد التويجري	عضواً

عبدالله بن ناصر الخريف	خلود بنت محمد الجبران
متعب بن سلمان الشمري	أسماء بنت عبدالله العبدالواحد

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧	حوار الرسول ﷺ بلاغة وبلوغ
١٧	الحرص على إيجاد محاور التقاء مع الآخر
١٧	▪ تفهم عقيدة المحاور وقيمه الخاصة الراسخة في وجدانه
١٩	▪ اختيار الزمان والمكان المناسب
٢٢	▪ نبذ العنصرية في الحوار
٢٣	▪ نبذ التعصب في الرأي
٢٥	▪ إيجاد مواطن الوحدة والتلاقي في الأحكام مع الآخر
٢٧	الحرص على السلم الاجتماعي
٣٥	حوار الرسول ﷺ مع المرأة
٤٣	الخاتمة

نظير

الحمد لله حمدا تقتضيه نعمه وآلؤه ، والصلوات والطيبات
والتسليمات على النبي المختار ، محمد وآله وصحبه أجمعين . أما
بعد :

جاء في أهداف تأسيس مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني
ترسيخ مفهوم الحوار وسلوكياته في المجتمع من خلال عدة برامج
منها: اللقاءات، والندوات، والتدريب، والدراسات والبحوث.
ومن هنا عني المركز بنشر كثير من المطبوعات التي تنسجم مع
رسائله ، وتحقق أهدافه .

وسلسلة رسائل في الحوار هي واحدة من المشروعات الفكرية التي
أطلقها المركز، لتستهدف شرائح المجتمع كافة، ولذا روعي فيها سهولة
العبارة ، ووضوح المعنى .

ولما ينطوي عليه هذا المشروع من أبعاد ثقافية وفكرية نبيلة تلقى
هذه الرسائل تفاعلا إيجابيا من لدن الباحثين، حسب تنوع تخصصاتهم،
الأمر الذي يدفع المركز إلى مزيد من الاهتمام بمثل هذه المطبوعات ،
ويضاعف - في الوقت نفسه - مسؤولياته تجاه المجتمع ، في ظل دعم
الدولة لجهود المركز ونشاطاته ..

وهذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ هو أحد ثمار هذه السلسلة
والذي يحمل عنوان (حوار الرسول ﷺ بلاغة وبلوغ) .

فللكاتب منا جزيل الدعاء والثناء وللقارئ الكريم وافر الود

والتقدير

والله من وراء القصد . .

هيئة التحرير



وَأَسْأَلُكَ
عَلَىٰ مُحَمَّدٍ
صَلَّىٰ اللَّهُ



حوار الرسول ﷺ بلاغة وبلوغ

يمثل الحوار عصب الحياة الإنسانية منذ بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ويظل هو المنزغ الأول لكل البشرية بشتى اللغات ، ومن خلاله يكون التعرف إلى أهواء الآخر وميوله النفسية؛ فقد قالت الحكمة الشهيرة " تكلم حتى أعرفك "لذا يسعى الجميع إلى إعداد الوسيلة الأولى للتواصل وتهذيبها على أحسن وجه ، وتعمل الدراسات الاجتماعية الحديثة على الكشف عن أفضل أنماط إدارة الحوار ؛ لإنجاح العلاقات البشرية ، وإيجاد فرص أقوى للتواصل في عالم تشابكت فيه العلاقات ، وارتبطت المصالح وأصبح من المرفوض بل من المستحيل أن ينغزل جزء من الكون عن الآخر ، وبات قبول الآخر والانفتاح الفكري عليه ضرورة للتعايش ؛ لذا كان واجباً علينا أن نبحث عن صور مثلى نقتدي بها ونسير على هديها ، وإذا بديننا الحنيف ورسالة نبينا السمحة تنضوي على أفضل نماذج يمكن أن يهتدي بها البشر في كل زمان و مكان . وقد اخترت نماذج من حوار رسول الله ﷺ في شتى مراحل نبوته تكشف لنا عن طريقة تواصله مع الآخر ، وقد أثبتت نجاعتها بدليل انتشار الإسلام في مدى زمني قصير، بما يمتلك من وسائل الإقناع التي تتواءم مع الفكر والمنطق .

لقد بدأ رسول الله ﷺ دعوته بالحوار حينما وقف على الصفا في وضح النهار مستنداً إلى الثقة التي رسخت في نفوس أهل مكة تجاهه ؛فقد علموه الصادق الأمين ولم يعهدوا عليه كذباً ولا خداعاً ؛ من هذا المنطلق دعا مجتمعه إلى فتح حوار هز التقاليد هزاً ، ومهد السبيل للتفكير في

هذا الأمر الجديد .

كما واجه تصدي قريش لتلك الدعوة بالحوار حينما جاء " عتبة بن ربيعة" ^(١) مبعوثاً من قريش مقدماً له عروضها قائلاً : يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السُّلْطَةِ فِي الْعُشَيْرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَنْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعَبَتَ بِهِ آلَهُتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ؛ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ بِهِ شَرْفًا سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا تَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَكَتْنَاكَ عَلَيْنَا؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِثِيًّا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَن نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ، وَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالِنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ رَبِّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوِيَ مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ.

حَتَّى إِذَا فَرَعُ عَثْبَةٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: أَقْدُ فَرَعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ؛ فَقَالَ:

(١) عتبة بن ربيعة بن شمس " ... ٢ هـ - ... ٦٢٤ م " ، أبو الوليد ، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ؛ كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل...نشأ يتيماً في حجر حرب بن أمية ، وأول ما عرف عنه توسطه في حرب الفجار ... وكان يقال لم يسد قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب فإنهما سادا بغير مال . أدرك الإسلام ، وطفى فشهد بدماء مع المشركين ... وقاتل قتالاً شديداً ؛ فأحاط به علي بن أبي طالب والحمة وعبيدة بن الحارث فقتلوه " خير الدين الزركلي - الأعلام - دار العلم للملايين - ط/ ١١ المجلد الرابع ج / ٤ ص ٢٠٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حم ، تنزيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴾^(١).

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا يَفْرُؤُهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُبَيْةٌ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ؛ ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتُ، فَأَنْتَ وَدَاكُ^(٢) لَقَدْ اسْتَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعْتَبَةَ حَتَّى نَفَدَ حِوَارَهُ ثُمَّ نَادَاهُ بِمَا يَحِبُّ الْعَرَبُ "يَا أَبَا الْوَلِيدِ" لِيَسْمَعَهُ قُرْآنًا يَجْسِدُ مَوْقِفَهُمْ وَيُصِفُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ أَسْنَتِهِمْ ، مُتَحَدِّيًا مِنْ جَانِبِ آخِرِ بِلَاغَةِ أَقْوَالِهِمْ ؛ فَوَصَلَتِ الرِّسَالَةَ إِلَى عْتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ كَأَوْضَحَ مَا تَكُونُ وَهُوَ مَا جَعَلَهُ يَعُودُ إِلَى قَوْمِهِ قَائِلًا " قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ ، وَلَا بِالسَّحْرِ ، وَلَا بِالكِهَانَةِ ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَطِيعُونِي وَأَجْعَلُوهَا بِي ، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَزِلُوهُ ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، فَإِنْ تُصِيبَهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيَتْموهُ بغيرِكُمْ ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ فَمَلِكُهُ مُلْكُكُمْ ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ ، قَالُوا : سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ ، قَالَ : هَذَا رَأْيِي فِيهِ ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ^(٣) .

(١) سورة فصلت ، آية : ١-٥ .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - دار الفكر - القاهرة - ج ١ ، ص ٣٠٥ .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ١ ، ص ٣٠٦ .

لقد حسم الحوار بآيات من الذكر الحكيم بالقول الفصل دون إطالة أو تفنيد في أمور لا تمثل أياً من أهداف رسول الله ﷺ فحقق بحوار قصير ما لا تبلغه الخطب الطوال بتوجيه حوارته وجهته الصحيحة فبلغ غايته من الإقناع ؛ لذا يمكن أن نعد مطابقة الأقوال لمقتضى المقام أحد أهم سمات أسلوب رسول الله ﷺ . ومن تلك النماذج أيضاً حوارته مع "ضمَام بن ثعلبة"^(١) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ نُؤَيْعٍ عَنْ كُرَيْبٍ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "بَعَثْتُ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَافِئاً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدِمَ عَلَيْهِ، وَأَنَاحَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ ؛ وَكَانَ ضِمَامٌ رَجُلًا جَلْدًا أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيَكُمُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. قَالَ: أَمَحَمَّدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي سَأَلْتُكَ وَمُعَلِّظٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ، قَالَ: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي،

(١) "من بني سعد بن بكر وقع ذكره في حديث أنس في الصحيحين قال بينما نحن عند النبي ﷺ إذ جاء أعرابي فقال أيكم بن عبد المطلب الحديث... وكان عمر بن الخطاب يقول ما رأيت أحداً أحسن مسألة ولا أوجز من ضمَام بن ثعلبة وروى أبو داود من طريق بن إسحاق عن سلمة بن كهيل وغيره عن كريب عن ابن عباس قال بعث بنو سعد ضمَام بن ثعلبة إلى النبي ﷺ فذكره مطولاً وفي آخره فما سمعنا بواقد قوم قط كان أفضل من ضمَام. قال البغوي: كان يسكن الكوفة ، وروى ابن منده وأبو سعيد النيسابوري من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر عن رجل من بني تميم يقال له ضمَام بن ثعلبة فذكر نحوه. وقوله من بني تميم وهم. وزعم الواقدى أن قدومه كان في سنة خمس وفيه نظر. وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة أن قدومه كان سنة تسع وهذا عندي أرجح" - ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة - تحقيق: علي محمد البجاوي - طبعة: دار الجيل - بيروت ط- ١ / ١٤١٢ - ١٩٩٢ - ج ٣ ص ٤٨٦ ، ٤٨٧.

فَسَلُّ عَمَّا بَدَا لَكَ.

قَالَ: أَتَشُدُّكَ اللَّهُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ،
اللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ قَالَ: فَأَتَشُدُّكَ اللَّهُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ
كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نُعْبُدَهُ وَحْدَهُ
لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟
قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَتَشُدُّكَ اللَّهُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ
كَائِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛
قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةَ فَرِيضَةً. الرِّكَاعَةَ وَالصِّيَامَ
وَالْحَجَّ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، يَشُدُّهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ مِنْهَا كَمَا يَشُدُّهُ
فِي الَّتِي قَبْلُهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ؛ وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا
أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرِهِ رَاجِعًا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ
صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ^(١).

لقد استوعب رسول الله ﷺ بدائية البدوي التي ظهرت في أسلوب
طرحه للسؤال بلا تجمل "أيكم ابن عبد المطلب؟" ... ثم "أمحمد؟"
ولكننا مع ذلك لا يمكن أن نغفل درساً من ذلك الرجل، لقد أدرك في
سؤاله الغلظة وفي حوارهِ الإطالة فاعتذر عنهما ابتداءً وهو حسن حوار
يحسب للرجل ونعده من أساسيات الحوار النافع؛ فالإنسان إذا أدرك في
نفسه أمراً لا يقبله الآخر فلا بأس من الإشارة إليه والاعتذار عنه قبل إدارة
الحوار. ولا نغفل لذلك البدوي أنه حينما تأكد أن المخاطب هو رسول

(١) ابن هشام- السيرة النبوية ج ٤ ص ١٤٢٨.

اللَّهُ ﷺ تَلَطَّفَ فِي حِوَارِهِ وَتَجَمَّلَ فِي سِوَالِهِ بِقَوْلِهِ "أُنشِدُكَ اللَّهُ... وَلَعَلَّ هَذَا - فَضْلاً عَنْ سُرْعَةِ تَصَدِيقِهِ وَحِرْصِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ أَصُولِ الدِّينِ - مَا جَعَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ فِي ذَلِكَ الْوَاقِعِ "فَمَا سَمِعْنَا بِوَاقِعِ قَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ ضَمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ"^(١).

أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ أَدْرَكَ طَبِيعَةَ السَّامِعِ وَخَاطَبَهُ عَلَى قَدْرِهِ "فَإِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً" فَقَدْ بَسَطَ لَهُ مَجَالَ الْحِوَارِ بِقَبُولِ عِذْرِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ لِإِجَابَتِهِ "لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي... فَسَلْ مَا بَدَا لَكَ" فَإِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى سِوَالِ الْوَاقِعِ نَجَدُهُ حُدُودَهُ فَأَظْهَرَ فِي لَفْظِهِ الْفِطْرَةَ الْحَنِيفِيَّةَ "أُنشِدُكَ اللَّهُ... إِنَّهُ لَيْسَ سِوَالُ الْمُنْكَرِ وَلَا الشَّاكِّ الْمَتَرِدِّ فَكَانَتْ إِجَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجِيزَةً لَا تَحْمِلُ مُؤَكَّدَاتٍ وَتَتَجَلَّى الْبَلَاغَةُ النَّبَوِيَّةُ فِي تِلْكَ الْإِجَابَةِ الْمُنْتَقَلَةِ بَيْنَ "نَعَمْ" وَ"اللَّهُمَّ نَعَمْ" فَإِذَا ضَمَّنَ الرَّجُلُ سِوَالَهُ مَا كَلَّفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمْرَهُ اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ لِلْعَالَمِينَ كَقَوْلِهِ "أَللَّهُ بَعَثَكَ..."" أَللَّهُ أَمَرَكَ..."" أَجَابَ ﷺ بِقَوْلِهِ "اللَّهُمَّ نَعَمْ" فَلَفِظَ الْجَلَالََةَ الْمُتَّصِلَةَ بِالْمِيمِ الْمَشْدُودَةَ الْمَفْتُوحَةَ الْمَعْوُضَةَ عَنْ حَرْفِ النَّدَاءِ الْمَحْذُوفِ يُشِيرُ إِلَى إِشْهَادِ اللَّهِ بِالتَّبْلِيغِ، وَحِينَمَا سَأَلَهُ عَنْ اسْمِهِ لَمْ يَجِبْ بِسِوَى "نَعَمْ" وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي غَيْرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ مِمَّا لَا يَتَّصِلُ بِأَمْرِ التَّبْلِيغِ. إِنَّهَا الدَّقَّةُ الْمُنْشُودَةُ فِي إِدَارَةِ الْحِوَارِ فَلَا تُرْثِرُهُ غَيْرُ مَجْدِيَّةٍ وَلَا اخْتِصَاراً مُخْلاً، وَكَانَتْ مَحْصَلَةُ الْحِوَارِ أَنْ أَنْصَرِفَ الرَّجُلُ إِلَى قَوْمِهِ "وَمَا أَمَسَى مِنَ الْحَيِّ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِماً"^(٢).

وَمِنْ خِصَائِصِ حِوَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ رَاعَى فِي إِدَارَتِهِ أَدْبِيَّاتٍ رَاقِيَّةً،

(١) ابن هشام- السيرة النبوية - ج ٤ - ص ١٤٢٩.

(٢) ابن هشام- السيرة النبوية - ج ٤ - ص ١٤٢٩.

منها: مراعاة أقدار المحاورين ، وإعطاء المخاطب حقه من التكريم يظهر ذلك في قصة إسلام "عدي بن حاتم"^(١) قال : "فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدُمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ فَقُلْتُ : عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ ؛ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لِعَامِدٌ بِي إِلَيْهِ ، إِذْ لَقِيْتُهُ امْرَأَةً ضَعِيفَةً كَبِيرَةً ، فَاسْتَوْقَفْتُهُ ، فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلًا تُكَلِّمُهُ فِي حَاجَتِهَا ، قَالَ : قُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ مَا هَذَا بِمَيْلِكَ ؛"^(٢) لقد أظهر رسول الله ﷺ احتفاءً بابن حاتم الطائي فأخذه لاستضافته في بيته وعدي يتبعه متحسناً حركاته وسكناته مفتشاً فيها عن دلائل نبوته ﷺ وإذا ما يبحث عنه يجده وتتبدى علاماته ، لقد وقف مستمعاً لامرأة ضعيفة ؛ فسلطانه إذاً ليس سلطان ملوك ؛ وما اجتمع له من انقياد القوم ليس لنفوذ دنيوي . فكان سلوكه ﷺ تمهيداً لحوار بناء ، وإعداداً لنفس

(١) عدي بن حاتم عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي ولد الجواد المشهور أبو طريف . أسلم في سنة تسع وقيل سنة عشر وكان نصرانياً قبل ذلك وثبت على إسلامه في الردة وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي ، ومات بعد الستين وقد أسن قال خليفة بلغ عشرين ومائة سنة . وقال أبو حاتم السجستاني بلغ مائة وثمانين . قال محل بن خليفة عن عدي بن حاتم ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء . وقال الشعبي عن عدي أتيت عمر في أناس من قومي فجعل يفرض للرجل ويعرض عني فاستقبلته فقلت : أتعرفني قال : نعم آمنت إذ كفروا ، وعرفت إذ أنكروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا إن أول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله ﷺ صدقة طي . أخرجه أحمد وابن سعد وغيرهما وجزم خليفة بأنه مات سنة ثمان وستين وفي التاريخ المظفري أنه مات في زمن المختار وهو ابن مائة وعشرين سنة . ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة - ج ٤ ص ٤٦٩ : ٤٧٢ .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ج ٤ ص ١٤٣٥ .

الأخر لاستقبال وجهة نظره بمزيد من الوثوق والقبول . نعود إلى حديث عدي ، حيث قال: "ثُمَّ مَضَى بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بِي بَيْتَهُ، تَتَأَوَّلُ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ مَحْشُوءَةٌ لَيْفًا، فَقَدَفَهَا إِلَيَّ؛ فَقَالَ: اجْلِسْ عَلَى هَذِهِ، قَالَ: قُلْتُ: بَلْ أَنْتَ فَاجْلِسْ عَلَيْهَا، فَقَالَ: بَلْ أَنْتَ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْأَرْضِ؛ قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ" (١) فهذه صورة أخرى من صور الاحتفاء وإعطاء الآخر قدره بما يشرح صدره ، ويوسع صدره لاستقبال شتى الآراء ، إنه ﷺ لم يقدم كبير ضيافة ، ولكنه آثره على نفسه في وسادة متواضعة "أدم محشوة ليفاً" وجلس ﷺ على الأرض؛ فما كان إلا رد فعل إيجابي لقد حاول عدي أن يعيدها إلى رسول الله ﷺ "بل أنت فاجلس" ولكن رسول الله ﷺ أصر على حق الضيف وإنزاله منزله. إن هذا الحوار التمهيدي – إن صح التعبير – الخارج في مجمله عن القضية الأساسية – دعوة عدي للإسلام – بمنزلة إعداد نفسي له شارك – بلا شك – في بلوغ الغاية المنشودة .

إن قصة إسلام عدي بن حاتم تظهر جانباً آخر من أدبيات حوار رسول الله ﷺ لقد حرص على قراءة ما في نفس الآخر وتفهمه فبعد أن أجلسه قال له: "إِيَّاهُ يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًّا؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى. (قَالَ) أَوْ لَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالْمَرْبَاعِ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَجِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ؛ قَالَ قُلْتُ: أَجَلٌ وَاللَّهِ، وَقَالَ: وَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ؛ ثُمَّ قَالَ: لَعَلَّكَ يَا عَدِيُّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ، فَوَاللَّهِ لِيُوشِكَنَّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يُوجَدُ مَنْ

(١) ابن هشام- السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٤٣٥.

يَأْخُذُهُ؛ وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، فَوَ اللَّهُ لِيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا (حَتَّى) تَزُورَ هَذَا الْبَيْتَ، لَا تَخَافُ؛ وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْمُلْكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ، وَ أَيْمُ اللَّهُ لِيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فَتَحَتْ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ: فَأَسْلَمْتُ^(١). لقد أدرك ﷺ مخاوف عدي ووضع يده على موضع الداء ودواعي تردد عدي في دخول الإسلام أنه ركوسي "دين بين الصابئة والنصارى" وهو من السادات الذين يأخذون ربع الغنيمة وهو ما لا يحوزه إذا دخل في الإسلام فبشره ﷺ فيما بشره بكثرة المال في أيدي المسلمين؛ ودخول السلطان في ديارهم ، فكان ذلك سبباً في إسلام عدي.

إن من أدبيات الحوار العرص على إيجاد مجاور التقاء وهو ما أصله ﷺ في

حواره مع الآخر ؛ ومن أهم صورته :

تفهم عقيدة المجاور وقيمه الخاصة الراسخة بوجدانه:

إنه من الضروري أن نستوعب عقيدة الآخر وأفكاره المؤمن بها . ما أعظم رسول الله ﷺ حينما قبل كتابة افتتاح معاهدة تتناسب وفهم الآخر وفي الوقت ذاته لا تمس ديننا فقد دعا علياً ليكتب صلح الحديبية (سنة ست) هـ فقال: "أُكْتُبُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ قَالَ: فَقَالَ "سَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو"^(٢): لَا أَعْرِفُ هَذَا، وَلَكِنْ أُكْتُبُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٤٣٥ .

(٢) "سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري خطيب قريش أبو يزيد . قال البخاري : سكن مكة ثم المدينة ، وذكره ابن سميع في الأولى ممن نزل الشام ؛ وهو الذي تولى أمر الصلح =

أَكْتُبُ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَكَتَبَهَا^(١)؛ إنها كلمة التوحيد بصيغة أخرى تتفق ومبادئ ديننا الحنيف. ثُمَّ قَالَ: "أَكْتُبُ: هَذَا مَا صَالِحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو؛ قَالَ: فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أَقَاتِلْكَ، وَلَكِنْ أَكْتُبُ اسْمَكَ وَأَسْمَ أَبِيكَ؛ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْتُبُ: هَذَا مَا صَالِحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو"^(٢) وفي رواية مسلم " فأمر علياً أن يمحوها ، فقال علي : لا والله لا أمحوها ؛ فمحاها الرسول ﷺ بيده"^(٣). لقد تفهم ﷺ الموقف وأدرك أن الجهل هو الذي دفعه إلى ذلك

= بالحديبية ، وكلامه ومراجعتي للنبي ﷺ في ذلك في الصحيحين وغيرهما . وله ذكر في حديث ابن عمر في الذين دعا النبي ﷺ عليهم في القنوت فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ زاد أحمد في روايته فتابوا كلهم... وذكره ابن إسحاق فيمن أعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل من المؤلفة. وذكر ابن أبي حاتم عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن الشافعي كان سهيل محمود الإسلام من حين أسلم وروى البيهقي في الدلائل من طريق الحسن بن محمد بن الحنفية قال : قال عمر للنبي ﷺ : دعني أنزع ثيبي سهيل فلا يقوم علينا خطيباً فقال: دعها فلعلها أن تسرك يوماً فلما مات النبي ﷺ قام سهيل بن عمرو فقال لهم : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت... وروى ابن شاهين من طريق ثابت البناني قال : قال سهيل بن عمرو : والله لا أدع موقفاً وقفته مع المشركين إلا وقفتم مع المسلمين مثله ، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمري أن يتلو بعضه بعضها . وقال : بن أبي خيثمة : مات سهيل بالطاعون سنة ثمان عشرة . ويقال قتل باليرموك . وقال خليفة بمرج الصفر والأول أكثر وأنه مات بالطاعون "ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة- ج ٣ ص ٢١٢ : ٢١٥ .

(١) ابن هشام- السيرة النبوية- ج ٣ ص ١١٤٢ .

(٢) ابن هشام- السيرة النبوية- ج ٣ ص ١١٤٣ .

(٣) الإمام النووي - صحيح مسلم - تحقيق مجموعة من العلماء - ط/ دار الحديث - القاهرة - ط/٤ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م - باب صلح الحديبية - حديث رقم ١٧٨٣ - ص ٣٧٦ .

القول؛ ولو علم لقالها فتجاوز عما كان دافعه الجهل في حرص منه ﷺ على إيجاد محاور التقاء فحقق غاية ذلك الحوار؛ رغم ما أثير حوله من الجدل والخلاف، وتم عقد الصلح بما حمل من فائدة مستقبلية للمسلمين.

اختيار الزمان والمكان المناسبين :

يعد اختيار التوقيت المناسب حيث استعداد الآخر لتبادل المفاهيم، وطرح وجهات النظر المختلفة، وتقصير المسافات بما يسهل بلوغ الغاية من أهم أسس الحوار الناجح، وهذا ما اعتنى به رسول الله ﷺ من نماذج ذلك ما أورده البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه أنه قال " كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض . فأتاه النبي ﷺ يعوده . فقعد عند رأسه فقال له : أسلم . فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم ﷺ . فخرج النبي وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار"^(١) إن هذا الحديث القصير يحمل كثيراً من الدلالات منها؛ أولاً: استعمل رسول الله ﷺ غلاماً يهودياً وظل ذلك الصبي يحتفظ بديانته مما يؤكد حرية العقيدة في الإسلام " لا إكراه في الدين " حتى عندما تتشابك المصالح .

ثانياً : أدى الرسول ﷺ حق الغلام فقد حرص على عيادته بنفسه ، ولم ينتدب عنه مبعوثاً أو رسالة ؛ فلم يغفل واجبه لكونه يهودياً أو صيباً .
ثالثاً : اختار النبي ﷺ المكان المناسب للجلوس عند الصبي عند رأسه حيث يكون قريباً من السمع والبصر فيسمع كلمات الصدق ، ويتأمل في عينيه الحق . إنه قمة الاقتراب تلتقي فيه حتى الأنفاس . أما الحوار فكان

(١) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر - فتح الباري- تصحيح وتحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كتاب الجنائز ج٣، ص ٢١٩ .

قصيراً جداً يتمثل في فعل أمر "أسلم" يبدو وكأنه بمنزلة قولنا: "هيا إلى النجاة" فلا مجال لحوار طويل مع فتى توسم في وجهه رسول الله ﷺ دنو الأجل، ثم إنه خيره وفهمه؛ وربما أدرك فيه اقتناعاً مسبقاً بالإسلام، ولعل ما منعه من قبل أمر يتعلق بأبيه، والآن وفي حضور جميع الأطراف يعرض الرسول ﷺ الإسلام في حضرة أبيه؛ فإذا بالأب يسهل مهمة رسول الله ﷺ ويشد عضد ولده حينما ينظر إليه وكأنه يستأذنه، وإذا بالصبي يعلن إسلامه، ورسول الله يخرج من عنده يحمد الله على إنقاذه من النار فلا هدف في نفسه ﷺ من إسلام غلام يحتضر إلا ذاك إن اختيار اللحظة الحاسمة سهل المهمة وبلغ الغاية المنشودة. وهنا يمكن أن نعقد مقارنة بين ذلك الحدث وموقف آخر عرض فيه الرسول ﷺ الإسلام على الأسير "ثمامة ابن أثال"^(١) "حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد: أنه سمع أبا هريرة يقول: بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد. فجاءت برجل من

(١) "ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم، . . . وسمعت قريش يتكلم بأمر محمد، قالوا: صبأ ثمامة، فقال: والله ما صبوت، ولكنني أسلمت وصدقت محمداً وأمنت... ولما ظهر مسيلمة وقوي أمره، أرسل رسول الله ﷺ فرات بن حيان العجلي إلى ثمامة في قتال مسيلمة وقتله... قال محمد بن إسحاق: لما ارتد أهل اليمامة عن الإسلام لم يرتد ثمامة، وثبت على إسلامه، هو من اتبعه من قومه، وكان مقيماً باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه... وشهد مع العلاء قتال الحطم، فانهزم المشركون وقتلوا، وقسم العلاء الغنائم، ونقل رجالاً، فأعطى العلاء خميصة - كانت للحطم يباهي بها - رجلاً من المسلمين، فاشتراها منه ثمامة، فلما رجع ثمامة بعد هذا الفتح رأى بنو قيس بن ثعلبة، قوم الحطم، خميسته على ثمامة فقالوا: أنت قتلت الحطم، قال: لم أقتله، ولكنني اشتريتها من المغنم، فقتلوه". عز الدين بن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة - تحقيق: مجموعة من العلماء - طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت - ط ٢ - ج ١ ص ٤٦١ .

بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال. سيد أهل اليمامة. فريطوه بسارية من سواري المسجد. فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال (ماذا عندك؟ يا ثمامة!) فقال: عندي، يا محمد! خير. إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر. وإن كنت تريد المال فسل تُعطَ منه ما شئت. فتركه رسول الله ﷺ. حتى كان بعد الغد. فقال (ما عندك؟ يا ثمامة!) قال: ما قلت لك. إن تنعم تنعم على شاكر. وإن تقتل تقتل ذا دم. وإن كنت تريد المال فسل تُعطَ منه ما شئت. فتركه رسول الله ﷺ حتى كان من الغد. فقال (ما عندك؟ يا ثمامة!) فقال: عندي ما قلت لك. إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم. وإن كنت تريد المال فسل تُعطَ منه ما شئت. فقال رسول الله ﷺ (أطلقوا ثمامة) فانطلق إلى نخل قريب من المسجد. فاغتسل. ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. يا محمد! واللّه! ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي. واللّه! ما كان من دين أبغض إلي من دينك. فأصبح دينك أحب الدين كله إلي. واللّه! ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك. فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي...⁽¹⁾ لقد طرح الرسول ﷺ الأمر على ثمامة وعاوده مرات متعاقبة على أيام ثلاثة مكرراً السؤال نفسه "ما عندك يا ثمامة؟" فأملهه فرصة التفكير؛ حيث يسمح الزمن، ولكنه ليس الطرح الممتد؛ فلا مجال عند رسول الله ﷺ لترك الفكرة مطروحة لوقت طويل ولا لزمن مفتوح حتى لا تفقد قيمتها أو تستغل فيتلاعب بها.

(1) صحيح مسلم - ج 6/ كتاب الجهاد والسير - باب ربط الأسير وحبسه - رقم 1765 ص

وقد ذكرت لنا كتب السيرة أن الرسول ﷺ أكرم الأسير وأمر بالإحسان إليه " أَحْسِنُوا إِسَارَهُ وَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ؛ فَقَالَ: اجْمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ، فَابْعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ، وَأَمَرَ بِلِقْحَتِهِ أَنْ يُعْدَى عَلَيْهِ بِهَا وَيُرَاحَ فَجَعَلَ لَا يَقَعُ مِنْ نُتَامَةٍ مَوْفِعًا وَيَأْتِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " (١) فكان لإكرام رسول الله ﷺ له بما في بيته وتلفظه معه في الطرح وعدم التنكيل به في أسره ، ثم إطلاق سراحه بلا قيد أو شرط موقع طيب في نفسه دفعه لأن يكون توجهه بعد الإطلاق إلى حيث التطهر لإعلان الإسلام .

نبذ العنصرية في الحوار :

لقد كادت العصبية القبلية أن تثير حرباً ضروساً بين طائفتين من المسلمين وهذا ما نراه في خلاف وقع بعد غزوة بني المصطلق (في شعبان سنة ست هجرية) ، حين "أَزْدَحَمَ" جَهْجَاهُ" (٢) و"سِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيُّ" (٣) ، حليف

(١) ابن هشام- السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٤٩٦ .

(٢) جهجاه بن سعيد وقيل بن قيس وقيل بن مسعود الغفاري شهد بيعة الرضوان بالحديبية وروى الشيخان من حديث جابر كنا في غزاة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار... الحديث... عاش جهجاه إلى خلافة عثمان فروى الباوردي من طريق الوليد بن مسلم عن مالك وغيره عن نافع عن ابن عمر قال : قدم جهجاه الغفاري إلى عثمان وهو على المنبر فأخذ عصاه فكسرها فما حال على جهجاه الحول حتى أرسل الله في يده الأكلة فمات منها . ورواه ابن السكن من طريق سليمان بن بلال وعبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر . " ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة- ج ١ ص ٥١٨ ، ٥١٩ .

(٣) سنان بن وبرة أو وبر الجهني حليف بني الحارث بن الخزرج قال : ابن أبي حاتم عن أبيه هو الذي سمع عبد الله بن أبي يقول ﴿ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ الآية وروى الطبراني من طريق خارجة بن الحارث بن رافع الجهني عن أبيه سمعت سنان بن وبرة الجهني يقول كنا مع النبي ﷺ في غزاة بني المصطلق وكان شعارنا يا منصور أمت وقال في الأوسط =

بَيَّ عَوْفُ بْنُ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ، فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَيْيُّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَصَرَخَ جَهْجَاهُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ؛^(١) لقد تعجب رسول الله ﷺ حين سمع تلك الدعوة وسأل مستكراً "ما هذا دعوى أهل الجاهلية؟"^(٢) ودعا إلى الصلح ونصرة المظلوم ونهي الظالم .

نبذ التعصب في الرأي :

بحكم الفطرة الإنسانية يجد الإنسان نفسه متمسكاً برأيه ، وكأن رأيه أصبح جزءاً من كيانه ؛ وإذا بالرأي يتحول إلى قضية مُسَلَّم بها هنا يتعطل الحوار وتتوقف آلياته . إن أيسر قواعد الحوار تتمثل في المقولة الشهيرة "قولي صواب يحتمل الخطأ ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب" وهذا ما نراه في مواقف النبي ﷺ ، من أمثلة ذلك ما نجده عندما شرع ﷺ في الصلح مع غطفان بعد أن اشتد البلاء على المسلمين؛ فاتفق مع قائديها على إعطائهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه ﷺ وأصحابه "فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ، بَعَثَ إِلَى "سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ"^(٣) وَ"سَعْدِ بْنِ

= لا يروي عن سنان إلا بهذا الإسناد تفرد به محمد بن جهضم وقال أبو عمر هو سنان بن تيم ، ويقال ابن وبرة وهو الذي نازع جهجاه الغفاري على الماء فاقتتلا" . ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة- ج ٣ ص ١٩٠ .

(١) ابن هشام- السيرة النبوية ج ٣ ص ١١٤ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب البر وصلة الرحم ٦٢ - ٢٥٨٤ - ج ٨ ص ٣٨١ .

(٣) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت واسمه : عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الأشهلي أبو عمرو ، وأمه كيشة بنت رافع لها صحبة أسلم على يد مصعب بن عمير لما أرسله النبي ﷺ إلى المدينة يعلم المسلمين فلما أسلم قال لبني عبد الأشهل : كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا . فأسلموا فكان من أعظم الناس بركة في

عِبَادَةَ"^(١)، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ، فَقَالَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْرًا نُحِبُّهُ فَتَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنْبِي رَأَيْتُ الْعُرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالْبُوكُمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إِلَّا قَرَى أَوْ بَيْعًا، أَفَجِئْنَا أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا (وَاللَّهِ) مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْتَ وَذَلِكَ. فَتَنَاقَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ، فَمَحَا مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا"^(٢) لقد تحاور النبي ﷺ مع أصحابه ورأى أحدهم غير ما رأى رسول الله ﷺ فاقتنع برأيه ونزل إلى رغبته، ومحيت صحيفة الاتفاق، ولم يمنع رسول الله ﷺ ذلك ما

= الإسلام وشهد بدماء لم يختلفوا فيه وشهد أحداً والخندق. " عز الدين بن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة - ج ٢ ص ٤٦١ .

(١) سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة وقيل : حارثة بن حزام بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي يكنى أبا ثابت وقيل : أبا قيس والأول أصح وكان نقيب بني ساعدة عن جميعهم وشهد بدماء عن بعضهم ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدرين وذكره فيهم الواقدي والمدائني وابن الكلبي وكان سيداً جواداً وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها ، وكان وجيهاً في الأنصار ذا رئاسة وسيادة يعترف قومه له بها ... " عز الدين بن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة - ج ٢ ص ٤٤١ .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية ج ٣ - ص ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ .

يمنع بعض كبارنا اليوم من التخرج أو الخجل من كون الآخر قدم ما هو أنسب.

إيجاد مواطن الوحدة والتلاقي في الأحكام مع الآخر :

تتجسد حكمة رسول الله ﷺ في شتى مواقفه ، وتجلت أن أظهر التلاقي بين الديانات حينما أراد اليهود وضعه في اختبارات عدة منها ما رواه ابن إسحاق قال : " وَحَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ مُزَيْنَةَ ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، يُحَدِّثُ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُمْ : أَنَّ أَحْبَارَ يَهُودَ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتِ الْمَدْرَاسِ ، حِينَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَقَدَ زَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ مِنْ يَهُودَ قَدْ أَحْصَنَتْ ، فَقَالُوا : ابْعَثُوا بِهَذَا الرَّجُلِ وَهَذِهِ الْمَرْأَةَ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَسَلُّوهُ كَيْفَ الْحُكْمِ فِيهِمَا ، وَوَلُّوهُ الْحُكْمَ عَلَيْهِمَا ، فَإِنْ عَمِلَ فِيهِمَا بِعَمَلِكُمْ مِنَ التَّجْبِيَةِ - وَالتَّجْبِيَةُ : الْجُلْدُ بِحَبْلِ مِنْ لِيْفٍ مَطْلِيٍّ بِقَارٍ ، ثُمَّ تُسَوَّدُ وَجُوهُهُمَا ، ثُمَّ يُحْمَلَانِ عَلَى حِمَارَيْنِ ، وَتُجْعَلُ وَجُوهُهُمَا مِنْ قِبَلِ أَدْبَارِ الْحِمَارَيْنِ - فَاتَّبِعُوهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ مَلَكٌ ، وَصَدَّقُوهُ ، وَإِنْ هُوَ حَاكِمٌ فِيهِمَا بِالرَّجْمِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَنْ يَسْلُبَكُمْوهُ . فَاتَّوَهُ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا رَجُلٌ قَدْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ قَدْ أَحْصَنَتْ ، فَاحْكُمْ فِيهِمَا ، فَقَدَ وَلِيِّنَاكَ الْحُكْمَ فِيهِمَا . فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى أَحْبَارَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَدْرَاسِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَخْرِجُوا إِلَيَّ عُلَمَاءَكُمْ ، فَأَخْرَجَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيًّا^(١) ، فَخَلَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ غُلَامًا شَابًّا مِنْ أَحَدِهِمْ سِنًّا ، فَالَطَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْأَلَةَ ، يَقُولُ لَهُ : يَا ابْنَ صُورِيًّا ، أَنْشُدْكَ اللَّهَ وَأُذَكِّرْكَ بِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ ص ٥٩٨.

إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ حَكَمَ فِيْمَنْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِالرَّجْمِ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ أَنَّكَ لَنْبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ. قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ فِي بَيْتِ عَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ^(١).

لقد تَرَوَى رسول الله ﷺ في حكمه على الرجل والمرأة إذ أراد أولاً أن يظهر من ذلك الموقف أن حكم الله واحد، وأن جميع الديانات السماوية تخرج من مشكاة واحدة؛ وفي ذلك تأكيد لنبوته، وإقناع لأصحاب الديانة الأخرى بصحة حكمه، ثم ما يترتب على ذلك من حقن لما قد يظهر من جدال في الحكم فيما بين ذويهما - الزاني والزانية - على أقل افتراض. لهذا عمد رسول الله ﷺ إلى محاورة أعلم من بقي بالتوراة وقد ألح عليه في المسألة حتى أكد له تطابق ما جاء في الإسلام والتوراة، بل ويشهد الرجل بنبوته محمد ﷺ ويعلمه علم اليهود بذلك، ولكنه الحسد. فحكم رسول الله ﷺ عليهما بحكم الله الذي ورد في شتى الديانات السماوية في تلاقٍ عقائدي؛ حرص رسول الله على إثباته في ذلك المشهد. ثم هذا الحوار بين الرسول ﷺ وحبر اليهود ما يؤكد لهم أنه النبي الذي وجدوا صفاته مكتوبة عندهم في التوراة.

وفي موقف سابق لهذا الحدث نرى الرسول ﷺ يقيم علاقة ود وتلاقٍ وتقريب العلاقات من خلال الديانات السماوية؛ ففي قصة الطائف أتى الغلام عداس^(٢) بطبق فيه عنب "ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ

(١) ابن هشام-السيرة النبوية - ج٢ - ص ٥٩٩.

(٢) عداس مولى شيبعة بن ربيعة؛ كان نصرانياً من أهل نينوى قرية من قرى الموصل ولقي النبي ﷺ بالطائف في قصة ذكرها ابن إسحاق في السيرة... وذكر الواقدي في قصة بدر من طريق أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة عن حكيم بن حزام قال: فإذا عداس =

﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُلْ، فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ أَكَلَ، فَتَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ، وَمَا دِينُكَ؟ قَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ، فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ ^(١) لقد أجاب الرسول ﷺ عن سؤال الغلام بألفاظ أدخلت الألفة في قلبه منها وصف "يونس بن متى بأخي" فتحوّلت العلاقة إلى قرابة في الإنسانية بما حققتة البيانات السماوية .

ومن سمات حوار الرسول **الحرص على السلم الاجتماعي** إننا لنشهد في إدارة الرسول ﷺ حرصاً على حفظ الأمن في المجتمع فلا إطلاق لخبر لم يتأكد من صحته، لقد عاد زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ يخبره بمقولة قالها "عبد الله بن أبي ^(٢) ... أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ

= جالس على الثنية البيضاء والناس يمرون عليها فوثب لما رأى شيبة وعتبة وأخذ بأرجلها يقول بابي وأمي أنتما والله إنه لرسول الله وما تساقان إلا إلى مصارعكما قال وممر به العاص ابن شيبة فوجده يبكي فقال: مالك فقال: بيكيني سيداي وسيدا هذا الوادي فيخرجان ويقاتلان رسول الله فقال له العاص إنه لرسول الله فانقض عداً انتفاضة شديدة واقشعر جلده وبكى وقال: إي والله إنه لرسول الله إلى الناس كافة. وذكر الواقدي من وجه آخر أنه نهاهما عن الخروج وهما بمكة فخالفاه فخرج معهما فقتل بيدر قال ويقال أنه لم يقتل بها بل رجع فمات. ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ ص ٤٤٦ .

(٢) عبد الله بن أبي بن سلول " ... ٩ هـ - ٦٣٠ م " بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي أبو الحباب المشهور بابن سلول ، وسلول جدته لأبيه ، من خزاعة ، رأس المنافقين في الإسلام ... خير الدين الزركلي - الأعلام - ج ٤ ص ٦٥ .

مِنْهَا الْأَذَلُّ"^(١) وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَدُوِّهِ، - بني المصطلق - فَأَخْبَرَهُ زَيْدُ الْخَبَرِ، فَنَجَدَهُ ﷺ يَرِاجِعُ الْفَتَى أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فَقَالَ " يَا غَلَامَ لَعَلَّكَ غَضِبْتَ عَلَيْهِ " فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْهُ " وَفِي تَثْبِيتِ بِشْكَالٍ آخَرَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ وَفِي مَحَاوَلَةٍ لِإِعْطَاءِ الْغَلَامِ مَسَاحَةَ مِنْ فَرَصِ التَّرَاجُعِ فِي حَالَةِ عَدَمِ صَدَقِهِ قَالَ لَهُ " لَعَلَّهُ أَخْطَأَ سَمْعَكَ " . ثَرَى هَلْ هُوَ عَدَمُ تَصَدِيقٍ أَوْ هُوَ حَسَنُ إِدَارَةِ حِوَارٍ بِمَا يَخْدُمُ الْمُجْتَمَعَ النَّاشِئُ وَإِتَاحَةُ الْفُرْصَةِ لِمَزِيدٍ مِنْ تَدْبِيرِ الْأَمْرِ ؟ إِنَّهَا كَلِمَةٌ تَثِيرُ النُّفُوسَ الْمُؤْمِنَةَ وَتَشْعَلُ غَضَبَهَا ، فَهَذَا عَمَرَ مِنَ الْخُطَابِ سَمِعَ هَذِهِ الْمَقُولَةَ فَقَدْ كَانَ عِنْدَ الرَّسُولِ ﷺ ، فَقَالَ: " مُرِّبِهِ عَبَادَ بَنِي بَشْرٍ فَلْيَقْتُلُوهُ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ لَا"^(٢) ثُمَّ قَالَ لِعُمَرَ " تَرَعَدُ لَهُ إِذْنُ أَنْفٍ كَثِيرَةٍ ... " وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَنَادِيَ بِالرَّحِيلِ " وَلَكِنْ أَدْنُ بِالرَّحِيلِ وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْتَجِلُ فِيهَا ، فَارْتَجَلَ النَّاسُ"^(٣) . إِنْ مَقُولَةُ النَّبِيِّ ﷺ تُوَكِّدُ جَوَازَ قَتْلِهِ ، وَلَكِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أْبَعَدَ مِنْ ذَلِكَ ؛ إِنْ الْمُجْتَمَعُ غَيْرُ مَهْيِيءٍ لِذَلِكَ الْخُطْبِ وَرَبْمَا أَثَارَ لُجَّةٍ بَيْنَ مُؤَيِّدٍ وَمُعَارِضٍ بَلْ سَيَقَالُ " يَقْتُلُ مُحَمَّدٌ أَصْحَابَهُ " دُونَ أَنْ يَفْسُرُوا الدَّاعِي ، وَلِنَنْظُرَ إِلَى لَفْظَةِ " أَصْحَابِهِ " بِمَا تَحْمَلُهُ مِنْ دَلَالَاتٍ؛ لَنْ يَقَالَ ذَلِكَ إِلَّا لِإِثَارَةِ الْفِتْنَةِ . أَمَّا الرَّحِيلُ فَكَانَ لَشُغْلِ النَّاسِ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَكَانَ مَوْعِدًا مُسْتَغْرِبًا مِنْ قَبْلِ بَعْضِهِمْ حَتَّى جَاءَهُ " أَسِيدُ ابْنِ حَضِيرٍ"^(٤) " قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا اسْتَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَارَ ، لُقِيَهِ

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٤ .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٤ .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٤ .

(٤) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري

الأشلهي يكنى أبا يحيى وأبا عتيك ، وكان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم =

أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فَحَيَّاهُ بِتَحْيِيَةِ النُّبُوَّةِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ رُحْتُ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ، مَا كُنْتُ تَرُوحُ فِي مِثْلِهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ؟ قَالَ: وَأَيُّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي؛ قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذْلَّ، قَالَ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ تُخْرِجُهُ مِنْهَا إِنْ شِئْتَ. هُوَ وَاللَّهُ الدَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ؛ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. أَرْفُقْ بِهِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِكَ، وَإِنَّ قَوْمَهُ لَيُنْظِمُونَ لَهُ الْخَرَزَ لِيَتَوَجَّوهُ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ قَدْ اسْتَلْبَبْتَهُ مُلْكًا^(١) هذا تفسير يمكن أن يقال في هذا الشأن استمع له رسول الله ﷺ للوصول إلى أبعاد الأمر. ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم حتى أمسوا وليلتهم حتى أصبحوا حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً - كما روت كتب السيرة - لقد آثر رسول الله ﷺ أن يتعب أجساد الناس على أن يتركهم يخوضون في حديث قد يتوسع أمره ولم يتثبت منه بعد . أما هو ﷺ فقد رأى أن يرسل وسيطاً من الأنصار لابن أبي فقالوا له " إن قلت ما نقل عنك : فأخبر به النبي

= بعث وكان أسيد من السابقين إلى الإسلام وهو أحد النقباء ليلة العقبة ، وكان إسلامه على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ ، واختلف في شهوده بدرأ : قال ابن سعد كان شريفاً كاملاً وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ، وكان ممن ثبت يوم أحد ، وجرح حينئذٍ سبع جراحات... وقال البيهقي حدثنا ابن زنيور حدثنا ابن أبي حازم عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال نعم الرجل أسيد بن حضير... وروى الواقدي من طريق عبد الله التيمي قال كان أبو بكر لا يقدم أحداً من الأنصار على أسيد بن حضير وروى البخاري في تاريخه عن ابن عمر قال لما مات أسيد بن حضير قال عمر لغرمائه فذكر قصة تدل على أنه مات في أيامه ... ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة ج/١ ص ٨٣ ، ٨٤ .

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١٥ .

يستغفر لك ولا تجعده فينزل فيك ما يكذبك وإن كنت لم تقله ؛ فأنت رسول الله ﷺ فاعتذر له واحلف ما قلته فحلف ما قاله ثم مشى إلى رسول الله ﷺ ، وهنا واجهه ﷺ بمقولته فقال "يا ابن أبي أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني عنك ؟ إن كانت سبقت منك مقالة فتب"^(١). لقد بدأ الرسول ﷺ معه الحوار متلطفاً رغم جلال الخطب ، ولم يمهله خطاباً إلا بدعوته للتوبة إلى الله؛ فالحوار بدأ بباب مفتوح للعودة إلى سابق العهد من المسالمة دون تهديد ووعيد فما كان من الرجل إلا أن نفى وأنكر مقولته ثم نزلت السورة التي ذكر فيها الله المنافقين في عبد الله بن أبي ليتأكد صدق الواقعة ، وجاء ولد عبد الله يطلب قتل أبيه حتى لا يقتله غيره "وَأَنِّي أَخَشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ ، فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَمْشِي فِي النَّاسِ ، فَأَقْتُلُهُ فَأَقْتُلَ (رَجُلًا) مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ ، فَأَدْخَلَ النَّارَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا"^(٢) فكان في رد الرسول ﷺ حرص على السلم الاجتماعي ، وعدم إشعال الفتنة في المجتمع الجديد ، ودرس في التسامح الديني ؛ أما قوم ابن أبي فهم الذين أخذوا يعاتبونه وينكرون قولته فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب "كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؛ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُلْتِ لِي أُقْتَلُهُ ، لِأُرْعِدْتَ لَهُ أَنْفَ ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ؛ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي"^(٣). فهذه عاقبة الحكمة والروية في

(١) علي بن برهان الدين الحلبي - "السيرة الحلبية" المسمى "إنسان العيون في سيرة الأمين

المأمون" - دار المعرفة - بيروت ج/٢ ص ٥٨٣ .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٦ .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٦ .

الأمر. وفي هذا الحدث ما يشير إلى رأفة الرسول ﷺ؛ فقد حظي الرجل بالأمان حياً وفاز بصلاة الرسول عليه ميماً" قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: لَمَّا تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ، دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ؛ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، تَحَوَّلْتُ حَتَّى قَمْتُ فِي صَدْرِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّيَ عَلَيَّ عَدُوَّ اللَّهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ بْنِ سُلُوفٍ؟ الْقَائِلُ كَذَا يَوْمَ كَذَا، وَالْقَائِلُ كَذَا يَوْمَ كَذَا؟ أُعِدُّ أَيَّامَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَبَسَّمُ حَتَّى إِذَا أَكْثَرْتُ قَالَ: يَا عُمَرُ، أَخْرَجْنِي، إِنِّي قَدْ خَيْرْتُ فَأَخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِي: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، فَلَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ، لَزِدْتُ. قَالَ: ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَشَى مَعَهُ حَتَّى قَامَ عَلَى قَبْرِهِ، حَتَّى فُرِعَ مِنْهُ. قَالَ: فَعَجِبْتُ لِي وَلِجُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَعْلَمُ. فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١).

فَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى (٢).

إن بناء الحوار على أساس السلم الاجتماعي يعد منطلقاً للرسول ﷺ ويتجلى في كبرى المواقف؛ ويتوجه حديثه يوم فتح مكة (سنة ثمان) هـ "يا معشر قريش، ما تُروون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ

(١) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٢) ابن هشام- السيرة النبوية ج ٤ ص ١٤٠٤-١٤٠٥.

كَرِيمٍ. قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ^(١).

ومن سمات حوار رسول الله ﷺ أنه لا يُنفذ إلى خصومة فقد عرض ﷺ للإسلام على وفد نجران ودار بينهما حوار حول خلق عيسى عليه السلام "فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْخَبْرُ مِنَ اللَّهِ عَنْهُ، وَالْفَصْلُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَأَمَرَ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مُلَاعَنَتِهِمْ إِنْ رَدُّوا ذَلِكَ عَلَيْهِ، دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ؛ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، دَعْنَا نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا، ثُمَّ نَأْتِيكَ بِمَا نُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ. فَأَنْصَرَفُوا..."^(٢) ثم خلوا إلى كبيرهم فاستقروا على صدق نبوته وخطورة الملاعة عليهم وأرادوا أن يبقوا على دينهم فعادوا إليه وقالوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَدْ رَأَيْنَا أَلَّا تُلَاعِنَكَ، وَأَنْ نَتْرُكَكَ عَلَى دِينِكَ وَنَرْجِعَ عَلَى دِينِنَا، وَلَكِنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ تَرْضَاهُ لَنَا، يَحْكُمُ بَيْنَنَا فِي أَشْيَاءَ اخْتَلَفْنَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فَإِنَّكُمْ عِنْدَنَا رَضِيَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اثْنُونِي الْعَشِيَّةَ ابْعَثْ مَعَكُمْ الْقَوِيَّ الْأَمِينِ. قَالَ: فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ قَطُّ حُبِّي إِيَّاهَا يَوْمَئِذٍ، رَجَاءً أَنْ أَكُونَ صَاحِبَهَا، فَرُحْتُ إِلَى الظُّهْرِ مُهَجَّرًا، فَلَمَّا صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ سَلَّمَ، ثُمَّ نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجَعَلَتْ أَنْتَاطُولُ لَهُ لَيْرَانِي، فَلَمْ يَزَلْ يَلْتَمِسُ بِبَصَرِهِ حَتَّى رَأَى أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجُرَّاحِ^(٣)، فَدَعَاهُ فَقَالَ: أَخْرُجْ

(١) ابن هشام- السيرة النبوية ج ٤ ص - ١٢٥٤.

(٢) ابن هشام- السيرة النبوية - ج ٢ ص ٦١٩.

(٣) أَبُو عُبَيْدَةَ- بزيادة هاء- هو: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجُرَّاحِ. قيل: اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح. وقيل: عبد الله بن عامر. والأول أصح، وهو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضرِ القُرَشِيِّ الفهري. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد بدرًا، وأُحدًا، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية. .. ولما دخل عمر بن الخطاب الشام، ورأى عيش =

مَعَهُمْ، فَاقْضِ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. قَالَ عُمَرُ: فَذَهَبَ بِهَا أَبُو عُبَيْدَةَ^(١) إن الاختلاف في الرأي لم يفسد للود قضية واختلاف العقيدة لم ينشب بينهم العداوة لقد اعترف الوفد بصدق نبوته ﷺ، ولكنهم أرادوا أن يعودوا بدينهم إلا أنهم لما رأوا في الإسلام من الحق أرادوا رجلاً من أصحابه ﷺ يحكم في عصب حياتهم - المال - فلم ينكر عليهم طلبهم، ولم يمنعهم إياه؛ لكونهم لم يدخلوا في الإسلام، وتمسكوا بدينهم؛ بل قرر اختيار من يقوم بالمهمة بأمانة وعزم من خيرة رجاله، وإننا لنعجب حينما نجد عمر بن الخطاب ﷺ الذي لم يستشرف للإمارة من قبل يرغب في ذلك المنصب ليفوز بلقب "القوي الأمين" ويبادر إليه مبكراً إلى صلاة الظهر متطاولاً في الصف لعل الاختيار يقع عليه؛ لكن الرسول ﷺ يختار أبا عبيدة. لقد أنفذ إليهم أحد المبشرين بالجنة. إن هذا الموقف يؤصل لتبادل المنافع بين المسلمين وأصحاب الديانات السماوية الأخرى فلا عصبية ولا انغزالية في الإسلام.

ويعد التخطيط المحكم لإدارة الحوار من خصائص منهج رسول الله ﷺ يبدو ذلك في موقفه مع الأنصار بعد أن خص ﷺ المؤلفه قلوبهم من قريش وسائر العرب بالفنائم حتى كثر القيل والقال بين الأنصار فبلغ رسول الله ﷺ قولهم فطلب من "سعد بن عباد" جمعهم في حظيرة فخرج سعد، فجمع الأنصار في

= أبي عبيدة، وما هو عليه من شدة العيش، قال له: كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة...، وتوفي في طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة، وصلى عليه معاذ بن جبل. قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان: مات في طاعون عمواس خمسة وعشرون ألفاً... عز الدين ابن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة - ج 6/ ص 201، 202.

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج 2 - ص 620.

تلك الحظيرة. قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ.^(١) أراد الرسول ﷺ أن يضيق دائرة الخلاف وألا يتركها تتوسع ويزداد الجدل فيها بدخول أطراف لا شأن لهم بالحدث وأن يحصر الحوار مع الذين وجدوا في أنفسهم شيئاً مما فعل رسول الله ﷺ إنه ليس سرية الحوار؛ لأن الحديث سيذاع بمجرد انتهاء الاجتماع ، ولكنه التخطيط المحكم لاحتواء الأمر واختصاص أهله به لإنجاحه. لقد اتسم ذلك الحوار بالمصارحة وقراءة أغوار نفس الآخر، حيث قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: مَقَالَةٌ، بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ، وَجِدَّةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِكُمْ ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ قَالُوا: بَلَى، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ وَأَفْضَلُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: بِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ ﷺ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصَدَّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذِّبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَأَسَيْنَاكَ أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُغَاةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا. وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ"^(٢) لقد ذكرهم بمن الله وفضله عليهم بداية وهم لم ينكروه ، بل كان إقرارهم به بألفاظ فيها خشوع وحسن أدب " بلى يا رسول الله ، الله ورسوله أمنٌ وأفضل " ثم كاشفهم ﷺ بما قد يدور في نفوسهم فأوجز ما قد يخالج النفس الإنسانية في مثل تلك المواقف في جمل متوازية المباني بديعية التركيب ؛ إذ قامت كل جملة على التضاد بما يكشف تبدل الحال " ..مكذباً فصدقناك ... " بيد أنهم بادروا بنفي أن يكون مثل ذلك دار بخلدهم ؛

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٣٥١.

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٣٥٢.

بل أكدوا أن المنة والفضل لله ورسوله وأسندوا ما قيل إلى أناس حديثه أسنانهم - كما جاء في بعض الروايات - لقد هون من شأن ما عاد به المؤلفه قلوبهم فقال لهم : أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّأَةِ وَالْبُعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟^(١) إنها مقالة كشفت وجهة نظر رسول الله ﷺ إنها الموازنة البلاغية التي ضاءت في عيونهم ما رآه بعضهم كثيراً من عرض الدنيا وجاء استخدام لفظ "لعاة" ويقصد بها البقلة الخضراء الناعمة شبه بها رسول الله ﷺ الدنيا ونعيمها ويقصد بها التقليل من الأمر، وفي المقابل ذكرهم بما بقي في أيديهم لقد عادوا برسول الله ﷺ وبما يحمله لهم من إعزاز و بركات ودعوات : "فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ. وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَحْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسْمًا، وَحَطًّا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا"^(٢) لقد اقترب الرسول ﷺ من الجانب النفسي في الأنصار الذي هو محور العلاقات القائمة بينهم فبلغ الحوار غايته حين تبين لهم سر صنيعه وكشف لهم صحة القسمة. إن الثمار لا تكون مادية فحسب ، وهذا ما ينساه كثير من الناس في حديثهم إلى الآخر .

ويعد **الحوار التشاوري** من سمات تعامل الرسول ﷺ مع الآخر وكان له الأثر المثمر في حياة الأمة على مر العصور وقد لمسناه في أشد المواقف الحاسمة في حياة المسيرة الإسلامية فنجد التشاور في غزوة بدر غير سير المعركة "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثْتُ عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا: "أَنَّ الْحُبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٣٥٢.

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٣٥٢.

ابن الجُمُوح^(١) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمُنْزِلَ، أَمْزِلًا أَنْزَلَكَ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهٗ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى تَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَتَنْزِلْهُ، ثُمَّ نُعَوِّرُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقَلْبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلُؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نَقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرِبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ أَشْرَبْتَ بِالرَّأْيِ".^(٢) كما نجد الحوار التشاوري في موقف ازداد فيه الخلاف وتباينت فيه وجهات النظر ورأى الصحابة غير ما رأى رسول الله ﷺ وذلك في صلح الحديبية (سنة ٦ هـ) إذ دعاهم بعد كتابة الصلح إلى التحلل من الإحرام فقال لهم " قوموا فانحروا ثم احلقوا - كرر ذلك ثلاثاً - فوجم جميعهم وما قام منهم أحد ، فدخل على زوجه أم سلمة وذكر لها ما لقي من الناس فقالت له : يا رسول الله أتحب ذلك؟ أخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تتحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ... فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً ..."^(٣) لقد حقق الحوار غايته رغم قصره ويبرز فيه جانب إسلامي عظيم يغفل عنه كثير من ذوي الرأي ؛ إن المستشار في ذلك الموقف "أم سلمة" فلم ينكر رأيها ولم يهمله لكونها امرأة بل نفذ ما أشارت به معلياً من وظيفة المرأة ومؤصلاً لمبدأ الشورى بين الجميع رجال ونساء. ثم تظهر قيمة أخرى في حوار رسول الله

(١) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن عنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي ثم السلمى قال : ابن سعد وغيره شهد بدرًا قال وكان يكنى أبا عمر... قال ابن سعد مات في خلافة عمر وقد زاد على الخمسين... "ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة ج/ ٢ ص ١٠ .
(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ ص ٦٥٩ .
(٣) الشيخ صفى الرحمن المباركفوري - الرحيق المختوم - ط - طبعة دار الوفاء ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م - ص ٤٠٦ - عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ٦ هـ .

ﷺ إنه قابل صمت الصحابة بقطع الحوار والتفكير فيما هو مجرب، فلا مجال لديه في محاوره من بدا عليهم بوادى الرفض فحل محله ما هو أجدى وأنفع؛ فكانت حكمة الأعمال أبلغ من ضجيج الجدال. وهنا يتجسد عنصر آخر يعد من العوامل الأساسية لإنجاح الحوار ألا وهو استعداد الآخر لإدارته وقبول نتائجه. إن الإسلام لا يعرف ما اصطلح على تسميته في عصرنا هذا " حوار الطرشان " وليس من أدبياته استجداء الآخر لقبول الحوار، ولا يقر الضعة في قبول شروطه.

أما حوار الرسول ﷺ مع المرأة فقد أضفى عليه سمات أخرى فكان مترقفاً معها مراعيًا لطبيعتها التي جبلها الله عليها فنراه متلطفًا بها في أدق مواقفها، من ذلك ما رواه ابن إسحاق قائلًا: " وَشَهِدَ خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَرَضَخَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْفِيءِ، وَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ بِسَهْمٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ سُوَيْدٍ، عَنْ أُمِّيَّةَ بِنْتِ أَبِي الصَّلْتِ، عَنْ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، قَدْ سَمَّاهَا لِي، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ إِلَى وَجْهِكَ هَذَا، وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى خَيْبَرَ، فَتَدَاوِي الْجَرْحَى، وَنُعِينُ الْمُسْلِمِينَ بِمَا اسْتَطَعْنَا؛ فَقَالَ: عَلَى بَرَكَتِ اللَّهِ. قَالَتْ: فَخَرَجْنَا مَعَهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةً، فَأَرَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَقِيبَةِ رَحْلِهِ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الصُّبْحِ وَأَنَاحَ، وَنَزَلْتُ عَنْ حَقِيبَةِ رَحْلِهِ، وَإِذَا بِهَا دَمٌ مِنِّي، وَكَأَنَّهُ أَوَّلَ حَيْضَةٍ حِضَّتْهَا، قَالَتْ: فَتَقَبَّضْتُ إِلَى النَّاقَةِ وَاسْتَحْيَيْتُ؛ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا بِي وَرَأَى الدَّمَ، قَالَ: مَا لَكَ؟ لَعَلَّكَ نَفْسَتْ قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَأَصْلِحِي مِنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ خُذِي إِنَاءً مِنْ مَاءٍ، فَاطْرَحِي فِيهِ مِلْحًا، ثُمَّ اغْسِلِي بِهِ مَا أَصَابَ الْحَقِيبَةَ مِنَ الدَّمِ، ثُمَّ عُدِّي لِمَرْكَبِكَ. قَالَتْ: فَلَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ، رَضَخَ لَنَا مِنَ الْفِيءِ وَأَخَذَ هَذِهِ الْقِلَادَةَ الَّتِي تَرَيْنَ فِي عُنُقِي فَأَعْطَانِيهَا، وَعَلَّقَهَا بِيَدِهِ فِي عُنُقِي، فَوَاللَّهِ لَا

أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا ، قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً وَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلَقُوا لَهَا أَسِيرَهَا ، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا مَالَهَا ، فَافْعَلُوا فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَاطْلُقُوهُ ، وَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا"^(١). هذا فعل رسول الله ﷺ مع ابنته المسلمة التي أرادت أن تفتدى زوجها الكافر ، لقد قدر الرسول ﷺ تلك العاطفة تجاه الزوج ؛ وظهر ذلك في عرضه الاستشاري مع الصحابة في أمر إخلاء سبيل الزوج ورد مال الفداء لها ، وما كان من الصحابة إلا أن حققوا رغبته ﷺ . هذا موقف الرسول مع زوجة مسلمة وزوجها الكافر ، فماذا لو قارناه بما نراه هذه الأيام من عصبية في المصاهرات تحول بين المسلم والمسلمة لأسباب اجتماعية أو قبلية ؟

لقد بلغ هذا الموقف الإنساني من الرسول ﷺ غايته ، وبلغ مأربه ؛ وهو ما يكشفه حوار آخر لنفس القضية ، فبعد أن أقامت زينب رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ في المدينة وظل زوجها بمكة خرج للتجارة بالشام بأموال له وقريش فلما فرغ من تجارته وأراد العودة إلى مكة أصابت سرية من أصحاب رسول الله ﷺ ما معه وفر هارباً ، ودخل على بيت زينب رضي الله عنها مستجيراً ، فأجارته ، وجاء يطلب ماله ، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح - كما حدث سعيد بن ورمان - "فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ ، صَرَخَتْ زَيْنَبُ مِنْ صُفَّةِ النِّسَاءِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ بِنِ الرَّيِّعِ. قَالَ: فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ: أَمَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى سَمِعْتُ مَا سَمِعْتُمْ ، إِنَّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ ، فَقَالَ: أَيُّ بُنْيَةٍ ، أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ، وَلَا

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ج ٢ ص ٦٩٤ .

يَخْلُصَنَّ إِلَيْكَ، فَإِنَّكَ لَا تَحْلِينَ لَهُ"^(١). لقد تعجب رسول الله ﷺ من الخبر وتفاجأ بصنيع ابنته ورغم ذلك لم ينكره عليها ، بل نراه يدخل عليها مترفقاً بها يبدو ذلك في نداءه " أي بنية " ثم هو يطمئنها بإقرار إجارتها لزوجها ويأمرها بحسن ضيافته منبهاً إياها بتلميح رقيق رفيع بحرمة الخلوة الزوجية به - إذ لا يزال على كفره - كما أنه ﷺ يعينها ويناصرها في إجارتها له فقد بعث إلى السرية التي أصابت مال أبي العاص قاتلاً "إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالاً، فَإِنْ تُحْسِبُونَا وَتَرُدُّوهُ عَلَيْنَا الَّذِي لَهُ، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَهُوَ فِيءُ اللَّهِ الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْنَاكُمْ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ نَرُدُّهُ عَلَيْكَ، فَتَرُدُّهُ عَلَيْنَا، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لِيَأْتِيَ بِالذَّلْوِ، وَيَأْتِيَ الرَّجُلَ بِالشَّنَةِ"^(٢) وبالإدَاوَةِ"^(٣)، حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَهُمْ لِيَأْتِيَ بِالشَّطَاظِ"^(٤)، حَتَّىٰ رَدُّوا عَلَيْهِ مَالَهُ بِأَسْرِهِ، لَا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئاً"^(٥) إنها صورة أخرى للحوار التشاوري فمن حق المسلمين أن يحتفظوا بغنيمتهم ، أو يجيبوا الطلب ، لكن رسول الله ﷺ استخدم لفظاً من شأنه أن يرجح الأخرى " نحب " وإذا بالسرية تأبى إلا أن تحقق ما يحبه ﷺ فقالوا " بل نرده عليه " لقد عاد أبو العاص إلى مكة بعد تحرير تجارته وأعاد لكل ذي مال ماله من قريش "ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ؛ قَالُوا: لَا. فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ وَفِيَّا كَرِيمًا قَالَ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ مَا مَنَعَنِي

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ ص ٦٩٩ .

(٢) الشنة : السقاء البالي .

(٣) الإدَاوَة : المطهرة التي يتوضأ بها .

(٤) الشظاظ : عود يشد به فم الفرارة .

(٥) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ - ٧٠٠ .

من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم، فلمأ أذأها الله إليكم وفرغت منها أسلمت^(١) فهذه ثمار التروي في الأمر والتلطف في حوار ظهر فيه مراعاة مشاعر المرأة، فلم تكره على التخلي عن جبلتها التي خلقها الله عليها - بما لا يخالف مبادئ الشرع الحنيف - لقد أسلم أبو العاص وعادت الحياة الزوجية بين زوجين متحابين ثانية ، ولكن في حظيرة الإسلام .

لم يكن الترفق في القول مع المرأة المسلمة فحسب بل نراه مع غير المسلمة أيضاً فقد كانت سفانة بنت حاتم الطائي ضمن أسيرات "وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد فامتن علي من الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عدري بن حاتم. قال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد بيست منه، فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلمي؛ قالت: فقممت إليه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامتن علي من الله عليك؛ فقال ﷺ قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذيني. فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه، فقيل: علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمته حتى قدم ركب من بلي أو قضاة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام. قالت: فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم

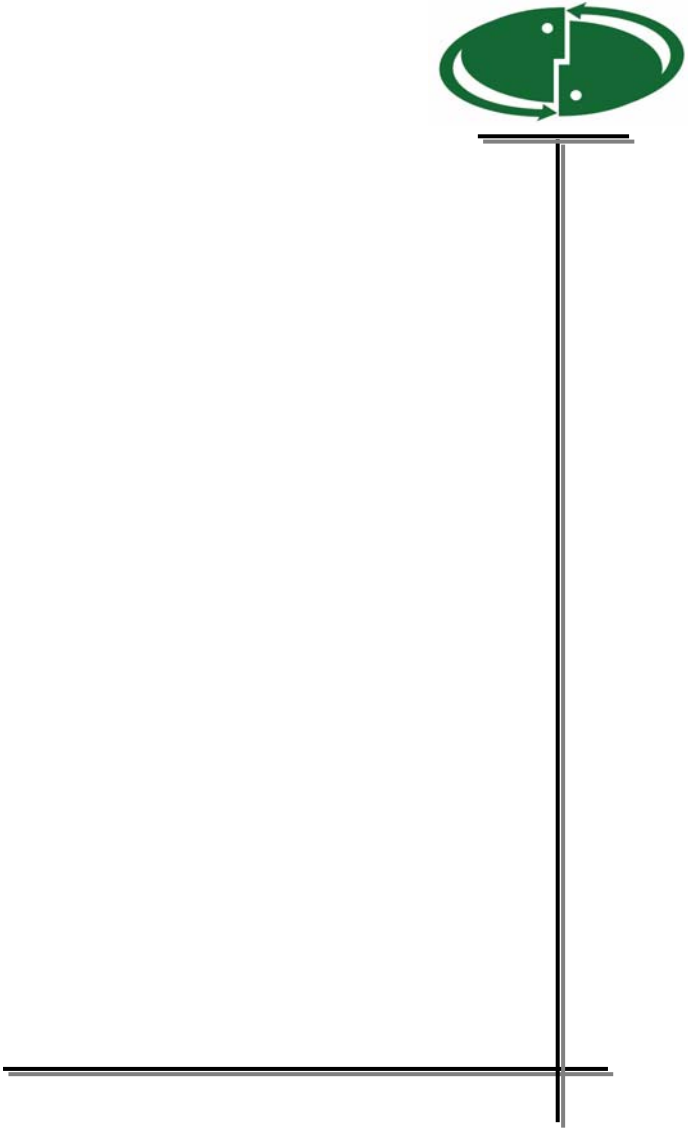
(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ - ص ٧٠٠ .

حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ" (١) لقد ترفق ﷺ بالمرأة الأسيرة وقدّر مكانها لما عرف من فضل وكرم لأبيها فحقق رغبتها بإطلاقها؛ بل حرص على تأمين ركبتها بالاطمئنان إلى من يصحبها في رحلة عودتها تمشياً مع تعاليم الدين الحنيف، لم يكن ذلك فحسب بل كساها وحملها من الأعطيات والنفقات في رحلتها إلى الشام، فدفعها ذلك إلى تشجيع أخيها "عدي" للقدوم إلى رسول الله - ﷺ - في المدينة، حيث أعلن إسلامه، ومما يشار إليه هنا أيضاً أهمية تنمية مهارات التخاطب عند المرأة؛ فقد أشارت الروايات إلى جزالة خطاب سفانة، فكان لحسن خطابها ونجاحها في التعبير عن رغبتها أثر في بلوغ غايتها. إن حسن الخطاب من آداب الإسلام الرفيعة.

الباحث في حوار رسول الله ﷺ يجده يحمل معيّنًا لا ينضب من الآداب التي يتعين على المسلم الاسترشاد بها ليقترّب من الصورة المثلى لما يجب أن يكون عليه الحوار؛ بما اتسمت به أنماطه من دقة وجزالة وإيجاز كما أنه حوار هادف محدد الخطوات؛ يصل بلطف إلى غايته المنشودة، فليس هو ثرثرة إعلامية ولا استفزازاً لجهد الآخر من غير طائل؛ ولا يحمل في طياته عكس ما هو ظاهر؛ فغاياته واضحة مباشرة؛ إنه في مجمله حوار يدعو إلى الرحمة الإنسانية والرفق والتواصل مع الجميع لتحقيق المصالح العامة، ودفع المفسد المنتظرة، حتى نصل إلى الغاية الأسمى في الحياة؛ وهي عبادة الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢).

(١) ابن هشام- السيرة النبوية ج ٤ ص ١٤٣٤.

(٢) الذاريات، الآية : ٥٦.



الغاية

من خلال استعراض نماذج من حوار رسول الله - ﷺ - يتكشف لنا تشعبها في مواطن شتى ، وتنوع محاورها ، مع اختلاف مشارب الطرف الآخر - أقصد المتلقي - ورغم ذلك تحتفظ بخط واحد يربط مواقفها المتنوعة ، إنه جدية المقصد والرغبة في الوصول إلى نتائج ملموسة تخدم المجتمع الإسلامي على مر العصور ، ثم الحرص على استيعاب الآخر لضمان التعايش السلمي مع الأطياف كافة ، إنه حوار يخلو من السفسطة الفكرية ، والتعقيدات اللفظية ، والرؤية العنصرية ؛ إنه الحديث الهادئ البناء في أسلوب راقٍ ، وتركيب بديع ، يسير باتجاه تحقيق الأهداف وبلوغ الغاية السامية التي ينشدها ديننا الحنيف ، فكان أحد وسائل تبليغ رسالة الإسلام السمحة إلى البشرية ، وقد قصدت الدراسة إلى رصد بعض سمات حوار ﷺ ، منها:

- أنه - ﷺ - عمد إلى قليل لفظ في دعوة سامية إلى الإسلام ؛ أو في رد موجز مؤثر.
- ونراه يخاطب العقل وينفذ إلى أغوار النفس الإنسانية ؛ فحواره عميق يرسخ في الوجدان .
- ثم هو يحرص على تقريب الآخر ، وإيجاد مواطن تلاقٍ حتى يكون الحوار مثمراً بناءً ، كما أنه نبذ العصبية والعنصرية تطبيقاً لمبادئ الإسلام.
- وفي إطار الحرص على الوحدة الداخلية للمجتمع المسلم نراه يعلي مبدأ الشورى ويعتمدها أساساً في عقد المعاهدات مع الآخر؛ بما يحفظ

السلم الاجتماعي .

- ونلمس مواقفه الإنسانية مع المرأة فقد راعى فطرتها التي جبلها الله عليها وقدرَ مواقفها الخاصة .
- إنه الحوار الحضاري الفعّال بلا تكلف ؛ إنه بلاغة القول وبلوغ الأهداف السامية الرفيعة التي دعانا إليها ديننا الحنيف .

صلى الله عليك وعلى ذريتك وبأمرك يا سيدي يا رسول الله .

- ١- أن يكون الكتاب معنياً بإشاعة ثقافة الحوار، محققاً لأهداف المركز وتطلعاته.
- ٢- أن يتسم بالجدة والأصالة.
- ٣- أن يتبع المؤلف أسس المناهج العلمية توثيقاً وصياغة.
- ٤- تخضع جميع البحوث المقدمة إلى هيئة تحرير السلسلة للتدقيق والمراجعة.
- ٥- ألا يكون قد سبق نشره في مكان آخر.
- ٦- أن يكون الكتاب ذا صلة بالواقع والأحداث المعاصرة.
- ٧- يتراوح الكتاب من ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ كلمة.
- ٨- يقدم المؤلف ثلاث نسخ مطبوعة من كتابه ونسخة إلكترونية على قرص (CD)، وملخص وجيز في حدود ثلاث صفحات.
- ٩- إرفاق سيرة ذاتية للمؤلف.
- ١٠- تتم إحالة البحث إلى فاحصين لإجازة البحث قبل نشره.
- ١١- يمنح المؤلف مكافأة مالية، إذا أجاز للنشر مع (١٠٠) نسخة من كتابه.
- ١٢- المكاتبات توجه إلى أمين هيئة تحرير سلسلة رسائل في الحوار، عبر البريد الإلكتروني: (rs@kacnd.org)، فاكس: ٢٧٥٤٧٤٩ هاتف: ٢٧٥٦٢٦١، ص.ب: ٨٩٨٦٦، الرياض: ١١٦٩٢.

